ثانويّة الرّاهبات الأنطونيّات

"وطني الحُبُّ، ليسَ في الحُبِّ حِقدُ!"

أعزّائي أعضاءَ أسرتِنا التّربويّةِ الكِرامَ،

يُطِلُّ علينا عيدُ الاستقلالِ هذه السّنةَ، ولبنانُ رازحٌ تحتَ ثقلِ الأزماتِ والمآسي الّتي لم يَشهدْها من قبل. إلاّ أنّ وطنَنا الصّامتَ الصّامدَ لن يتماهى على الإطلاقِ معَ التّقلّباتِ والصّراعاتِ السّياسيّةِ والحزبيّةِ والاجتماعيّةِ والإيديولوجيّةِ وغيرِها، ولن يتلوّنَ إطلاقًا بألوانِ الحكمِ والحكّامِ وأوزارِ التّاريخِ، مهما عظُمَت وتكاثرَت. فالوطنُ فوقَ الجميعِ، فوقَ الأشياءِ كلِّها. إنّه عطيّةُ الطّبيعةِ وهِبةُ السّماءِ!

ألم تُشبِّهْهُ الأسطورةُ بطائرِ الفينيقِ، ينبعثُ أبدًا من رمادِهِ؟ كيف لا، وكِيانُهُ راسخٌ على أُسُسِ أرواحِ الشّهداءِ وصخرةِ إيمانِهم، وجذورُهُ ضاربةٌ في أعماقِ التّرابِ المَجبولِ بدَمِ الأبطالِ وروّادِ الفكرِ والإبداعِ! وهنا أستحضِرُ قولًا كانَ يردِّدُهُ البطلُ يوسف بك كرم الإهدنيُّ: "فلأُضَحَّ أنا وليَعِشْ لبنانُ"!

ألم تتغنَّ بهِ الحضاراتُ القديمةُ، منذُ ما قبلَ الكنعانيّينَ، لعظمةِ جبالِهِ وسِحرِ طبيعتِهِ وعذوبةِ مناخِهِ وعنفوانِ أرزِهِ؟ ألم تجعلْهُ أرضًا إلهيّةً، جبلَ إيلَ، مقامًا للآلهةِ، أرضَ الله؟ ألم يَرِدِ اسمُهُ في الكتابِ المقدّسِ أكثرَ من مئةٍ وعشرينَ مرّةً؟ فكَم هو جميلٌ وخالدٌ تشبيهُ الحكمةِ بأرزِ لبنانَ، الأرزِ الّذي غَرَسَ غابتَهُ الرّبُّ في أعالي جبالِهِ؛ وكلُّ عظيمٍ على الأرضِ وفي السّماءِ يُشبَّهُ بأرزِ لبنانَ. أمّا سفرُ المزاميرِ فيُنشِدُ: "الصِّدّيقُ كالنّخلِ يُزهرُ ومثلُ أرزِ لبنانَ يَنمو". وما يُدهِشُ أيضًا هو أنّ سليمانَ الملكَ قد طلبَ من حيرامَ، ملكِ صورَ، أن يُرسِلَ إليهِ خشبَ الأرزِ وصُنّاعًا لبناءِ هيكلِ الرّبِّ في أورشليمَ! والله، إنّ هذهِ المحطّاتِ المضيئةَ تكفيكَ، يا وطني، فخرًا واعتزازًا وديمومةً!

أيُّها الأعزّاءُ، يَجِبُ ألّا نَنسى ما قالَ البابا القدّيسُ يوحنّا بولسُ الثّاني في لبنانَ إنّهُ "بلدٌ طالَما اتّجهَت إليهِ الأبصارُ لأنّهُ مهدُ ثقافةٍ عريقةٍ، وإحدى منارات البحرِ الأبيضِ المتوسّطِ"، مؤكّدًا "أنّ إحياءَ هذا الوطنِ بالنّسبةِ إلى جميعِ سكّانِهِ، إنّما هو مَهَمّةٌ مشتركَةٌ". لذا، يجبُ عدمُ التّراخي في القيامِ بهذهِ المَهَمّةِ المُلِحّةِ الآنَ، مهما كلّفَت أبناءَهُ وبناتِهِ من تضحياتٍ ونضالاتٍ، لأنَّ خلاصَ لبنانَ يَكمُنُ في قدرتِنا على المضيِّ قُدُمًا وإعادةِ اختراعِ أنفسِنا للتّأقلمِ معَ أوضاعِنا الجديدةِ الرّاهنةِ، فنستحقُّ إذّاكَ لبنانَنا الكبيرَ! نعم... نحنُ كلُّنا مسؤولون

عن إحياءِ الوطنِ – الرّسالةِ، على ما وصفَهُ البابا القدّيسُ؛ إنّهُ رسالةُ حرّيّةٍ وتعايشٍ، رسالةُ حضارةٍ ورُقيٍّ. وستبقى رايةُ رسالتِهِ خَفّاقةً فوقَ جبينِهِ البهيِّ، مهما قَسَت عليهِ الأيّامُ وأساءَ إليهِ بعضُ أهلِهِ والجيرانِ.

أمّا نحنُ أيّها الأحبّاءُ، أهلَ الإيمانِ والتّربيةِ والثّقافةِ والعِلمِ، أعضاءَ هذهِ الأسرةِ التّربويّةِ المتميّزةِ بالرّوحِ الوطنيّةِ واليقَظةِ الإيمانيّةِ، الرّائدةِ بالأمانةِ الخلّاقةِ، فلَنا موعدٌ كلَّ سنةٍ معَ عيدِ بلادِنا، الاستقلالِ الغالي، لنجدّدَ العهدَ والوعدَ بأن نُحافظَ على الأمانةِ: هُوِيَّةً وروحًا ورسالةً وتراثًا ورِفعةً. فلبنانُ ليسَ أرضًا وشعبًا وتاريخًا فحسبُ، إنّما هو روحٌ، والرّوحُ يُحيي، أمّا الحقدُ والأطماعُ والأنانيّةُ فتقتلُ. عن ذلك، ينبّهُنا الأبُ ميشال حايك بقوله: "إنّنا اليومَ نازحونَ مشرَّدونَ عن لبنانَ الرّوحيِّ. فَلْنتجنّسْ روحيًّا بلبنانَ لنستحقَّ استيطانَهُ من جديدٍ".

ختامًا، يا مَنْ بِكُم أفخَرُ، لا يَسَعُني إلّا أن أدعوَكُم لتُصغُوا بِكُلِّ جوارِحِكُم إلى الشّاعرِ اللّبنانيِّ الكبيرِ سعيد عقل الّذي هامَ بوطنِ الأرزِ والمجدِ، فرَفَعَهُ صخرةً عُلِّقَت بالنّجمِ، طارَت بِها الكُتبُ، إذ يقولُ في قصيدةٍ أشبهَ بالإنشادِ السّماويِّ أوِ الوحْيِ الإلهيِّ:

"ليس أرزًا ولا جبالاً... وماءً

وطنـــي الحـــبّ ! ليس في الحـبّ حقـدُ!

وهو نورٌ فلا يَضِلُّ ... فَكَدٌّ! ويدٌ تبدع الجمال... وعقلُ!

لا تَقُـلْ أمّتي وتجتاح دنيـا! نحن جـارٌ للعالمينَ وأهـلُ!

لعلَّنا نَهتفُ هذا الكلامَ النّورانيَّ في أذنِ الأرضِ فيسمعَنا مَنْ في السّماءِ، مِنَ الآنَ وإلى الاحتفالِ بألفيّةِ إعلانِ لبنـانَ الكبيرِ، متمسّكينَ بقـوّةِ الإيمانِ بِهِ وبشعبِهِ وإنسانِهِ ومستقبلِهِ، كما البطريـرك الحويّـك وغيرِهِ مِنَ الكبار الّذين استحقّوا لنا وطنًا نهائيًّا عظيمًا.

كلَّ عيدِ استقلالٍ وأنتم بعزّةٍ ومجدٍ وسلامٍ!

مار الياس غزير
ثانوية الراهبات الأنطونيات

غزير في ١٩ تشرين الثّاني ٢٠٢٠

الأخت جوديت هارون

رئيسة الثّانويّة